النص الروائي الموازي

العربي الضيفاوي

جامعة القيروان

ترجمة حسن الطالب

نسعى في هذا البحث إلى مساءلة النص الروائي الهامشي، لكي نقف على الطريقة التي يتشكل بها عقد القراءة فيه، وكيف يتجلى، وكيف تتم فيه القراءة بوصفها فعلا فرديا أو جماعيا. يرى جنيت أن النص الملحق يمثل بالنسبة للنص ما يمثله الفيال إلى لفيل"(...). فإذا كان النص من غير نصه الموازي أشبه ما يكون بفيل دون فيال، أي كقوة خائرة،كذلك النص الموازي دون نصه أشبه بفيال دون فيل أي مجرد استعراض أهوج"(1).

ونجد هذا الرأي الذي يعلي من قيمة النص الموازي في الفقرات الأخيرة من كتاب فيليب لان (Philipe Lane) "هامش النص" (La périphérie du texte):"(...) وكما أن النص لا يمكن أن يدرك ويستوعب بمعزل عن محيطه، كذلك لا يكتسب النص الموازي معناه إلا في علاقته بالنص.(...) من تم يتحدد موقع دراسة هامش النص بين استقصاء الوهمي و استقصاء الأصلي، أو بالأحرى في الجدلية الدائمة والضرورية بين النص الموازي وصداه في النص، لا أحدهما بمعزل عن الآخر بل في موازاة أحدهما مع الآخر "(2).

لا يدعي العمل الحالي – المقتضب جدا دون شك – تقديم قراءة شمولية و أدق عن جمالية التلقي مثلما هي متضمنة في هامش النص، بل يتعلق الأمر بمسح لا يعدو أن يكون مدخلا. سوف نبدأ بتصنيف – مؤقت – للقراء في ضوء موقعهم بالقياس إلى الخيال الروائي. وسنرى بعد ذلك كيف أن هامش النص يعد موقعا استراتيجيا يتشكل فيه عقد القراءة. وسنخصص القسم الأخير من مداخلتنا لعقد القراءة الذي تقدمه لنا العتبة التمهيدية لروايتين ترسليتين كبيرتين هما : "جولي أو هلويز الجديدة" Julie ou la nouvelle héloise لجان جاك روسو(J.J.Rousseau) (1761) و" العلاقات الخطيرة " (Les Liaisons dangereuses لكودرلوس ده لاكلوس (Choderlos De Laclos)(1782) .

1– تصنيف مجمل للقراء. " القراءة جزء لا يتجزأ من النص، إنها متضمنة فيه "(3). تقول مايك بال (Mieke Bal) في كتابها " السرديات": " النص مجموع تام ومبنين من الدلائل اللسانية "(4). فهو "مجموع تام" و مغلق،منظور إليه في ذاته، وهو "مجموع...مبنين " يشتمل" على بداية و نهاية، ناهيك عن أنه يمتلك تنظيما داخليا يتحول داخله إلى كل بنيوي على المستوى التركيبي "(5). وتبعا لهذا التحديد يجب على " العلم " الذي يدرس النص الأدبي " أن يكون،في الوقت نفسه، نسقيا وداخليا"(6). وليست مهمة هذا العلم – وهو البنيوية –إعادة بناء تكون نص من النصوص وتاريخه " ولا الإجابة عن سؤال " ماذا يقول النص ؟" بل بيان " الكيفية التي يقول بها النص ما يقوله " (7).

وإذ صرفت البنيوية النظر عن المقاربات الموضوعاتية التي كانت تستخدم النص الأدبي باعتباره وثيقة بيوغرافية وتاريخية، من خلال تأثرها باللسانيات السوسيرية(8)، وبأعمال الشكلانيين الروس (شلوفسكي، إيخنباوم، تينيانوف، فينوكرادوف، بريك، طوماشفسكي، بروب وآخرون)(9) ، وفي مسعى منها إلى وضع أسس علم للأدب،(10) نجدها تركز محور اهتمامها على النص محددا بوصفه بنية مكتملة ومستقلة ومنزوعة عن سياقها. ذلك أن المحللين البنيويين يفضلون دراسة الجوانب المتصلة بالبنية النصية كالانسجام والدينامية والتدرج والترابط والسياقية والوحدات السردية (11) والتقطيع والتجانس والتنافر المقطعي. من تم تستبعد كل المعطيات الخارج – نصية وتُطَّرح جانبا مثل الكاتب والقارئ والسياق التاريخي إلخ. هكذا نجد رولان بارث يعلن عن "موت المؤلف"(12). أما النص فلا حظ في استحضاره إلا إذا كان محسنا نصيا (figure textuelle) أي بوصفه وظيفة سردية و"مواطنا نصيا" [جزء من أجزاء النص]. والواقع أن الحديث عن القراءة لا يُثار إلا إذا كانت من الأفعال المنجزة من فواعل الحكي (actants du récit)(13) ؛ فهي لا تهم المحلل إلا بوصفها مُكوّنا من مكونات الحبكة، شأنها في ذلك شأن تحول الشخصيات وصراعاتها وتطاحنها وعلاقاتها، إلخ. لكن يتفق أيضا أن يثار نوع آخر من أنواع القراء، ذلكم هو القارئ " المجرد" الذي يستدعيه"الكاتب المجرد" أو يستحضره في "العالم الروائي"(14) .

وبفضل الاتجاه التداولي ونظريات التلقي والقراءة أُدمجت المقاربات النصَّ في نظام معقَّد يشمل الكاتب والقارئ والسياق، واُستعيض عن مفهوم النص بمفهوم الخطاب: " الخطاب (...) ملفوظ يتميز بخصائص نصية، لكن ما يميزه بالأخص تلك المعطيات السياقية لفعل من الخطاب منجز في وضعية (مشاركين، نظام، مكان، زمن) أما النص فهو، بناء على ذلك، موضوع مجرد ناجم عن عملية طرح السياق جانبا، المطبقة على الموضوع الأمبير يقي "(15).

وبفضل هذه الطريقة في إدراك الموضوع الأدبي أصبح القارئ موضوع تمحيص دقيق و أحد المحاور الأساسية في تحليل الأعمال الأدبية و عملا شاقا مفروضا على النقد(16): فلا وجود لعمل أدبي ما، باعتباره خطابا، دون متلقي (17) ؛ ذلك أن المتلقي هو الذي يحيِّن العمل من خلال القراءة،وبالتالي يسمح له بالكينونة ويضفي عليه طابعا اجتماعيا. ويرى إمبرطو إيكو أن " الكون النصي هو من حيث المبدأ نص غير مكتمل دائما "(18). فاكتماله يتم عبر التلقي. وليست الفاعلية القرائية حجر الزاوية في المنظور التواصلي للأدب فحسب، بل هي كذلك حجز الزاوية في "إعادة خلقه" : فالقارئ هو القوة الضرورية لتحيين العمل الأدبي والقراءة فعلٌ تام يُسهم بقوة في إضفاء معنى على النص(19).

إن القارئ المعني في هذا المنظور الجديد ليس خلقا تخييليا،بل هو هذا الكائن التاريخي الذي " ليس في وسعه نسيان تاريخيته الخاصة"(20). ويُضاف إلى أنواع القراء الذين أتينا على ذكرهم وهم : القارئ بوصفه " مواطنا من مواطني النص " وفاعلا في الخيال الروائي، و"القارئ المجرد"، والقارئ "الملموس" الموجود "في العالم الواقعي"(21) أي خارج النص، نوع رابع ألا وهو القراء الذين لا يوجدون لا داخل الخيال الروائي ولا خارجه، بل وسطهما (22) ذلك الوسط الذي يسمح بالعبور من خارج النص إلى النص وهو الفضاء الذي سمي بأسماء مختلفة : "العتبة "(seuil)، هامش النص"(péritexte) الحاشية(lisiere)، البهو (vestibule) (23). كما يطلق عليه "المنطقة المتذبذبة(24)"(zone indécive) "الحاشية(25)"(frange)، "التعليق النصي"(26) (méta-texte)، "محيط النص "(27)(peripherie،"الكتابة الهامشية(28)"، périgraphie)" خارج–الكتاب"(29)،"limen"(30)،" الما– بين "(l'entre –deux). ورغم تعدد التسميات فإن كل هذه الدوال الدالة على العنوان والملخص عن الكتاب والمقدمة والهوامش والملحق وخطابات أخرى مصاحبة للنص تعبر عن فكرة حدود وتخوم الخطابات النصية الموازية وخارجها بالقياس إلى النص الذي هي رهن به والتي " تحيط به و [...] تمدد منه لتقدمه بالتحديد بالمعنى العادي لهذا الفعل، بل وكذلك بمعناه الأقوى أي تجعله حاضرا و تضمن حضوره في العالم و"تلقيه" واستهلاكه اليوم، في صورة كتاب على الأقل "(31).

يتمثل هدفنا الأساس في النظر إلى الكيفية التي تُقدِّم بها الرواية نفسها،بطريقة مسبقة، نمط تلقيها في نصها الموازي(32)، أي كيف يحدد الروائي طبيعة الاستعمال الملائم للتعامل مع روايته(33). وسوف نسائل بعض عناصر النص الموازي لنوعين: هما الرواية التراسلية ورواية المذكرات. ونستقي متن دراستنا من الإنتاج الروائي للحقبة الممتدة من النصف الثاني من القرن 17 إلى بداية القرن 19.

إن ما يميز متننا هو تجانسه وتنافره في الوقت نفسه. هو متجانس لأنه يتألف من أعمال تسمى أعمالا " كلاسيكية " وأخرى أقل شهرة أو إن النقاد لم يلتفتوا إليها(34). ويبدو أن " الرسائل الفارسية (35)" (lettres persanes) و"مانون ليسكو"(36) (Manon Lescaut) و"هلويز الجديدة(37)" (La nouvelle Helouise) و"العلاقات الخطيرة(38)"(Les liaisons dangereuses) من بين الروايات التخييلية التي مارست سحرها منذ قرون وما انفكت تمارسه حتى اليوم. وبالمقابل حظيت كثير من الأعمال الروائية بشهرة أقل أو قل إنها مجهولة بالمرة.فـــ "الرواية البورجوازية" لأنطوان فورتيير(39) و رواية "ثلاثة عشر رسالة في الحب من سيدة إلى فارس" " Treises lettres amoureuses d'une dame à un cavalier"لإدم بورصو و"حياة ماريان " La vie de Mariane (40) لماريفو Marivaux (41)و" انحرافات القلب والعقل " Les Egarements du cœur et de l'esprit لكريبيون فيلس(42) Crébillon Fils و"رسائل بيروفية "(43) Lettres péruviene لمدام كرافيني Mme Graffiny و"مهاجر سيناك" L émigré de Senac لميلهان(44) Meilhanو رواية " أوبرمان " Obermanلسينانكور Senancour (45) و" مذكرات الزوجين الشابين"(Les Mémoires des deux jeunes mariées لبلزاك (46)هي كلها روائع أهملها النقد الأدبي؛ ذلك الإهمال الذي يبدو لنا امتدادا للحظر والازدراء الذي عانى منه النوع الروائي مدة طويلة خلال الحقبة موضوع الدراسة.

وسواء عُرفت هذه الأعمال التي سنعرض لبعض عناصرها النصية الهامشية أم لم تُعرف فإنها تنتمي إلى أشكال روائية مختلفة وإلى حقب متباعدة وإلى سياقات اجتماعية – سياسية وأدبية متباينة. ورغم كل هذه المعطيات فإن متننا يتميز بتجانس لافت للنظر على مستوى البنية الكبرى . فكل من الأعمال الروائية التي سنعرض لها في هذا العمل يتألف من تخييل روائي يمتلك شكل مراسلات أو سرد – مذكرات بصيغة المتكلم ومن ترسانة من الخطابات الخليطة المنسوبة لناشر الوثيقة التي تكمن أحد وظائفها في صياغة عقد للقراءة من خلال "تزويد القارئ بالمعلومات الضرورية للقيام بقراءة جيدة"(47) وكذا وظيفة اقتراح قراءة أو قراءتين أو عدة قراءات للرسالة أو السرد – المذكرات، تلك القراءات التي تقدمه وتصاحبه وتؤطره .

وتشكل هذه الخطابات الهامشية المحيطة بالنص التخييلي الروائي مجموعا فرعيا من " النص الموازي" الذي يحدده جيرار جنيت على النحو التالي : " [...] النص الموازي في نظري [...] هو ما به يكون النص كتاب أو يقدم نفسه بوصفه كذلك إلى القراء وإلى الجمهور عموما. (...) والحقيقة أن هذه الحاشية الحاملة دوما لتفسير أو تبرير إلى حد ما من قبل الكاتب تشكل ما بين النص وخارج –

النص منطقة ليست منطقة تحول فحسب، بل منطقة تفاعل، أي مكانا مفضلا لتداولية وإستراتيجية وإحداث تأثير في الجمهور (...) من أجل استقبال أفضل للنص، وقراءة أكثر ملاءمة"(48).

2 – الخطاب المقدماتي، عقد القراءة : " النص منتوج ينبغي على مصيره التأويلي أن يكون جزءا لا يتجزأ من آليته التوليدية الخاصة"(49). إن مقتضيات القراءة التي نُسيت أو أُهملت لمدة طويلة حاضرة، مع ذلك، بقوة في الخطابات النصية الهامشية للرواية الترسّلية ورواية المذكرات طوال الحقبة التي تهمنا.فعلى امتداد هذه الحقبة تم الحط في الغالب من قيمة الرواية واعتبرها المؤسسات الرسمية (السياسية والدينية والثقافية) "كتابة مخربة " ، و"مفسدة للجمهور" و"بدعة تخييلية ضالة " مسؤولة عن كل الرذائل(50). إن بعدها عن الجد يجعل منها مجرد كتابة هزلية ومازحة.

وتنضاف لهذه الانتقادات الموجهة إلى الرواية باسم الفضيلة انتقادات أخرى باسم فضائل أخرى ممثلة في الجمالية. فالرواية، هذا النوع الحديث العهد، الذي علا نجمه سريعا في جمهورية الآداب، لم يمارسه القدماء وبالتالي فهو لا يمتلك فضيلة الأنواع السامية [النبيلة] كالفلسفة والتاريخ والمسرح والشعر(51).

ولأن الرواية مخربة وهزلية ولا نوع، فهي لا يمكن أن تطالب بأية شرعية(52). ولكل هذه الأسباب فهي تمثل هذا "النص المضاد " الذي يجب تقويضه، في آن، عن طريق الأدب الرسمي المهدد بالمزاعم الأدبية للرواية وعن طريق الثقافة الرسمية على العموم، التي تمثل الرواية، في نظرها، مجموعة من القيم السلبية خصوصا ما يتصل بـــ " غير الحقيقي " و غير الجدي" (53).

ومع ذلك ورغم هذه اللعنات التي لاحقت الرواية لم تكف الرواية عن ممارسة تخريبها واجتذاب جمهور متنوع ومتعدد. ويفسر النجاح الباهر الذي حققته الرواية بتضافر عوامل عديدة سنكتفي منها هنا باستحضار عاملين : الشكل الروائي المعتمد والاستراتيجيات الحجاجية المتضمنة في الخطابات المواكبة.

يتكون العمل الروائي من فضاءين خطابيين : (مراسلات وسرد للمذكرات) وترسانة من الخطابات الخليطة المنسوبة إلى ناشر الوثيقة والموضوعة على هامش المراسلة أو السرد بصيغة المتكلم. وتتيح الصيغة الترسلية وسرد المذكرات الوصول إلى ما نسميه بـــ "الواقعية الشكلية" (54) وهي حسب مونتسكيو(55) أحد "المزايا " الأساسية لهذه التقنية الروائية :" عادة ما تلقى هذه الأنواع من الرواية النجاح لأن الكاتب ينقل بذاته عن وضعيته الراهنة، وهو ما يشعر أكثر بالآلام التي يمكن

للمحكيات التعبير عنها " (ص21) (56). ولأن الرواية منشغلة بأن "تكون حقيقية" فهي لا تستمد شرعيتها إلا من إعادة إنتاجها للواقع. ولكي " يصنع الروائي الحقيقة " فإنه يبدع سيناريو يقدم فيه التخييل باعتباره حقيقة : فهو لا ينفك يردد رفضه " تأجير قلمه للكذب"(57).

ويشدد الروائيون في خطابهم الاستهلالي على مسألتين : دقة المعلومات التي يقدمونها للقارئ وجديتهم كناشرين ومترجمين أو محررين. وتسمح لهم هاتان المزيتان بالتمتع بسلطة يمارسونها على الجمهور. ويحدد دونيس ديدرو هذه السلطة على النحو التالي :" أعني بالسلطة في الخطاب حق الروائي المشروع في أن يتم تصديق ما يقوله : فكلما حاز هذا الحق كلما مارس سلطته . ويقوم الحق المذكور على درجة العلم والنية الخالصة التي نتعرفها في الشخصية التي تتكلم . فالعلم يحول دون خداع المرء نفسه فيزيح الخطأ الذي يمكن أن يترتب عن الجهل . وأما النية الخالصة فتحول دون خداع الآخرين وتردع الكذب الذي يسعى الخبث لنشره. إن العلم والجدية إذن هما المقياس الحقيقي للسلطة في الخطاب"(58).

ويجد هذا التزوع للرواية – وهذا "التضليل" لنوع يدعي التنكر لطبيعته الحقيقية لينتحل صفة الواقع ذاته – في الخطابات المصاحبة وفي الحواشي (المقدمة، التنبيه، المدخل، التمهيد) فضاء مناسبا تُعبر فيه عن نفسها بوضوح وبطرق مختلفة(59). هكذا يصبح الروائي ،في سعيه نحو جعل الخيال يتحول إلى لا خيال(60)، "مترجما" و "ناشرا " أو" محررا" يتمثل دوره في "تقديم وثيقة مكتشفة أو مؤتمن عليها إلى القراء "(...) وتنقيح (...) النص من أجل تصحيحه، وتنظيمه، بل وتحشيته"(61) ولا يجعل مونتسكيو من نفسه سوى" وكيل مترجم" (ص23) . فالمترسلين الذين ترجم رسائلهم كانوا فارسيين "يقيمون معه (...) ولا يكتمونه شيئا" (نفسه).

أما ماريفو ناشر "مغامرات السيدة الكونتيسةles aventures de la " ***comtesse فيصرح أنه أخذ " مخطوطة " ماريان من شخص كان قد عثر عليها في دولاب محفور على واجهة حائط "(ص7). ويضيف في نهاية تقديمه:" وأخيرا، ها هو كتابه مثلما هو، ما عدا بعض التصحيحات القليلة ".

وأما لاكلوس " محرر " العلاقات الخطيرة " فقد قال إنه كان "مكلفا بتنظيم [مراسلة] من قبل الأشخاص الذين كانت موجهة لهم "(ص15). وثمة جملة لـــبلزاك تعبر بدقة عن هذا التقليد الأدبي العريق حيث كتب ناشر " مذكرات الشابين العروسين" في نهاية مقدمته :"لا ينكر الناشر أبدا تدخله ونصيبه في التصحيح و التنسيق واختيار الرسائل، غير أن عمله لا يتجاوز عمل المخرج للكتاب" (صص 600-601)

ويكمن فضل هذه الطريقة في العرض خارج النص المنشور (المترجم، الناشر، الناسخ، المنسق، الوكيل، المعلق...إلخ) في " تبرئة الروائي من تهمة المشاركة في العمل الأدبي " (62). وتُعدُّ الخطابات الهامشية أمكنةً استراتيجيةً لتوظيف آليات تظليل لغوي يهدف إلى إغواء القارئ وخلق وَهْمِ الحياة الحقيقية(63). فالنص الهامشي بمثابة لعبة، إنه تخييل موضوعه تخييل آخر . إنه مكان استراتيجي لممارسة نوع من " الديكتاتورية " على القارئ من أجل فرض نوع من القراءة. إنه تعاقد بل قراءة أو قراءات خاصة(64).

وتشتمل معظم المقدمات على مقاطع سردية خُصِّصَ جزء كبير منها لتقديم الظروف التي سمحت للناشر (القناع الذي يضعه الروائي) بتملُّك الوثيقة التي ينشرها. وتُختزل معظم السرود التي يكتبها "أشباه – الناشرين " إلى عدد محدود من التوطئات أو إن شئنا إلى موضوعات :

1 – قصة مروية شفويا للناشر .

2 – مخطوط ينشره الناشر .

ويتضمن كل موضوع عددا من المتغيرات إلى حد ما أو من الموضوعات الفرعية : من الذي روى القصة للناشر، هل هو أحد الأبطال أو شخص ثالث ؟ وهل عثر الناشر نفسه على المخطوط أم مدَّهُ به شخص ما ؟ هل الكاتب (الكتاب) من مَدَّ الناشر بالمخطوط أم مدَّه به شخص ثالث وجده في حديقة أو في دولاب أو في الطريق ؟(65).

لقد صدرت رواية " رسائل حب إلى فارس" لإدم بورصو (66)بـــ "رسالة إلى السيدة*** التي أرسلت للكاتب الرسائل التالية " وبـــ " تنبيه ". وهذان القسمان التمهيديان يقدمان بعض المعلومات حول جودة المراسلات ومصدرها والتي قَبِل بورصو بضمِّها إلى كتابه " الرسائل الجديدة ". وتوضح تلك الرسائل " نشأة وتطور وعنف حب دام أكثر من خمسة عشر عاما بدسائسه ومرارته واضطراباته وعقباته التي قهرت " (ص 47). ولم يكن كاتب هذه الرسائل سوى سيدة يُعبِّر هواها عن نفسه بعنف شديد :" اعلم أن السيدات الرزينات هن أرزن من الرجال . وأن ما يكتبنه ليس سوى نارا وحيوية " (ص 46).

هذه الرسائل " الأكثر رقة وعشقا " (ص46) لسيدة يجهل ناشرها اسمها لا تشكل سوى عينة من مراسلات طويلة يبلغ عددها "ثلاثمائة رسالة "(ص47). وقد قدمتها السيدة***إلى كُتُبِيٍّ رفض نشرها. ولم يكن هذا الكُتُبي عالما بقيمة تلك الرسائل التي تُعَدُّ ،في الحقيقة، جوهرة حقيقية أو حجرا نفيسا : إنها أشبه بديك الحكاية الخرافية التي تفتتح به" رسالة إلى السيدة ":

كان ديك ينقب الأرض
بحثا عن ذرة بيضاء
فعثر تحث رجله على حجر نفيس
وبالكاد نظر إليه .
فأي شيء كان الحجر لعقل يحسن التفكير ؟
وهو الذي لا يعدو أن يكون سوى حيوانا
يجهل جمال الحجر النفيس .(ص45)

ولإحباطها من ردة فعل الناشر توجهت السيدة *** إلى بورصو، كاتب الرسائل وناشدته بضم هذه العينة إلى باقي الرسائل التي " اعتزمت نشرها " (ص47): " لا أعلم ، أيها القارئ، مصدر هذه الرسائل التي سوف تطّلع عليها . فقد أرسَلتْها إلي سيدة تربطني بها التزامات قوية توسلت (وتوسلها هذا هو بالنسبة لي أمر) إلي عندما بلغها خبر اعتزامي نشرها بأن أذيل رسائلي بها " (ص47). وتوجه هذه المعطيات التي يُقدمها بورصو القارئ وتعمل على تأطير قراءته حيث يوضح له سلفا أنه سوف يقرأ مجموعا من الرسائل الأصلية تروي قصة حب.

وكمعظم الروائيين المتقنعين في صورة ناشرين ومحررين ونساخ ومترجمين يُعدِّدُ بورصو وينوع من الخطط والحجج بهدف الحصول على انخراط القارئ وإغرائه وتوجيه قراءته؛ أما مونتيسكيو فيتصنع اللامبالاة متظاهرا بعدم الاهتمام بقراءة "الرسائل الفارسية " وبتلقي الجمهور لها :" إني هاهنا لا أكتب خطابا إهدائيا ولا ألتمس حماية لهذا الكتاب : سوف يُقرأ إذا كان جيدا، أما إذا كان رديئا فلن أكثرت بقراءة الناس له " (ص 23)(67).

إن هذه اللامبالاة لا يسعُها إلا أن تُحدث أثرا عكسيا : فالمسافة ،باعتبارها علامة ثابتة على الأصالة والصحة، تزيد من إغواء القارئ وإغرائه وتدفع به نحو اكتشاف الوثيقة التي يعمل كاتب المقدمة على التنصُّلِ منها.

ويروي مترجم " الرسائل الفارسية " الأصلية (1721)(68) في مقدمته قصة مصدر الرسائل التي ترجمها : " إن الفارسيين الذين يكتبون هنا كانوا يسكنون معي كنا نعيش سويا تحت سقف واحد. وبما أنهم كانوا ينظرون إلي كشخص جاء من عالم آخر فقد كانوا لا يكتمونني شيئا " (ص 23).

وعلى حد كلام مونتيسكيو المترجم فإن ريكا(Rika) وأوسبك (Usbek) قد أقاما معه مدة طويلة : " وكانوا يملون عليه رسائلهم "(المصدر نفسه). أما عن قصة شوفالييه ده كرييو (Chevalier

(des Grieux ومانون ليسكو(Manon Lescaut) فقد رُوِيت شفويا إلى الرجل النبيل الذي لا يعدو أن يكون شوفالييه دي كرييو نفسه. قُدِّمت هذه القصة للقارئ من خلال " تنبيه " وسرد – إطار.

ويروي لنا الرجل النبيل في سرده (صص 5 – 12 وص 120) لقاءيه مع شوفالييه دي كرييو، اللذين يفصل بينهما " عامين تقريبا"، الأول كان بـــباسي (Pacy) والثاني كان بـــكالي (Calais) حيث روى شوفالييه قصته مع مانون.

وينبه الرجل النبيل القارئ " إلى أنه كتب القصة بمجرد ما سمعها، وبالتالي في إمكان القارئ أن يطمئن إلى أنه لايوجد حكي أكثر دقة وأمانة من هذا الحكي " (ص 12). ويصف الناسخ والناشر القصة بشكل مبالغ فيه :" بدت لي هذه المغامرة أروع مغامرة وأكثرها تأثيرا في النفس" (ص9)، " فالكتاب برمته دراسة في الأخلاق اختزل بشكل رائع في تمرينات " (تنبيه إلى قارئ مذكرات الرجل النبيل ص4). ويستعين دي كرييو بالأسلوب ذاته في حديثه عن علاقته بـــمانون : إنه ضحية " أكثر " المغامرات التي لم يسبق مثلها على مر التاريخ (...) "(ص 112). ويوجه الرجل النبيل، في تنبيهه الذي صدر به رواية مانون ليسكو، القارئ عبر تزويده بمعلومات عن شوفالييه دي كرييو :" كان علي أن أرسم لوحة عن شاب أعمى رفض أن يكون سعيدا وفضل عمدا أن يرتمي في أحضان المآسي والنكبات. شاب آثر أن يعيش، عن طيب خاطر ومع كل المزايا التي ينطوي عليها أكثر الناس تألقا، حياة غموض وصعلكة بدل مزايا النجاح والطبيعة. شاب يتنبأ بمآسيه دون رغبة منه في تفاديها؛[...]وأخيرا شاب بمزاج غامض وخليط من الفضائل والعيوب، تناقض أبدي بين مشاعر نبيلة وأفعال سيئة " (تنبيه من كاتب مذكرات الرجل النبيل ص. 2).

ولا يَغفل ماريفو أثناء تقديمه لـــمذكرات " حياة ماريان أو مغامرات السيدة الكونتيسة *** عن تنبيه القارئ إلى تضمنها "لتأملات مطولة و"متكررة" و"لأحداث" أقل. ويبرر هذا الملمح من مذكرات ماريان على النحو التالي : "لم ترفض ماريان أيا من التأملات التي كونتها عن أحداث حياتها. كانت تأملاتها في بعض الأحيان قصيرة وأحيانا أخرى طويلة وذلك تبعا للذوق الذي ارتضته عنها. كانت تكتب إلى صديقة تحب التأمل على ما يبدو. كانت ماريان قد اعتزلت العالم وتلك حالة تجعل العقل أكثر ميلا إلى التفلسف وأخذ الأمور على محمل الجد " (صص 5 – 6).

وفي الخط نفسه يسير سينانكور (Senancour). فهو يوضح في توطئته "لرسائل أوبرمان" بأن " الرسائل " "التي تخلو من فن" و" المفتقدة إلى حبكة " والتي يقدمها للقارئ " ليست من الرواية في شيء" بل هي :"تجربة شخص يشعر لا شخصا يعمل " (أوبرمان صص.51 – 52). وتفسح "رسائل

أوبرمان "المجال لـــ :" لكي يقرأ بعض الأشخاص المنتشرين في أوروبا عن مشاعر وآراء وأحلام وعيوب رجل زهد في الدنيا ويكتب لذاته الخاصة وليس للناشر " (المرجع نفسه ص 52).

ويحدد الروائي، في النص الهامشي، المادة التي ينبغي قراءتها (رسائل، سرد – مذكرات)، مُوضِّحا أصولها (الحالة الاجتماعية، العصر...إلخ)، مُبرزًا التأثيرات الأساسية ومزايا الوثيقة التي يعتزم نشرها ويضعها في إطار نسق سميائي أساسي أو في نسق أخلاقي (المنفعة الأخلاقية، مثالية العلاقة الحبية، تربوي...الخ)، شاقًّا طُرقًا للقراءة ومُستهدفا جمهورا محددا (كائنات حساسة، أتقياء، فلاسفة، قرويين، حضريين، أمهات، شابات...الخ). وتنطوي هذه الطريقة في العناية بالجمهور على تضمين براكماتي واستخدام لأفعال تحريضية، أي استمالة القارئ والتأثير فيه وتوجيه قراءته. غير أن تحقيق هذه الأفعال رَهْنٌ بتعاون القارئ.

وكما رأينا للتو تدرج الخطابات الهامشية القارئ داخل النص في حدود كونها تعليمات للقراءة أي بمثابة " كلمات آمرة " (mots d'ordre) تشكل تحريضا على القراءة بطريقة معينة، إنها غطاء شفاف بين القارئ والنص و "حاشية " (...)تحمل دوما تعليقا موقعا (...) يشكل مابين النص وخارج النص منطقة ليست منطقة انتقال فحسب بل منطقة تفاعل : أي مكانا مفضلا لبراكماتية واستراتيجية ولتأثير في الجمهور (...) لصالح استقبال أفضل للنص ولقراءة أكثر ملاءمة (69).

هكذا تلعب العناصر النصية الهامشية دورا أساسيا في العقد الروائي للقراءة. حيث تعمل تلك الخطابات المرافقة والمصاحبة على برمجة تلقي النص باشتمالها على أشكال متعددة من الإلزامات التي يجب قراءتها وسماحها للرواية بأن تكون مزودة بـــ " تقديم نفسها ". وبناء على دوره التقديمي يكون النص الموازي مكانا ينشط فيه عقد القراءة بوضوح،حيث يتمثل دوره الأساسي في ضمانه للنص قدرا مناسبا لصالح الكاتب.

هوامش

1– إمبرطو إيكو ، *دور القارئ أو التعاضد التأويلي في النصوص السردية* ، باريس . منشورات Grasset ، 1985

.- Gérard Genette, Seuils,Paris, Edition du Seuil,1987,p376.2

-Philipe Lane ,la périphérie du texte ,Paris,Nathan,1992,pp .147-148. 3

—Michel Charles,Rhétorique de la lecture,Paris, Edition du Seuil,1977,p.49.4

- Mieke Bal,Narratologie(essais sur la signification narrative dans quatre romans 5 modernes),Paris ,Editions Klincksieck,*1977*,p.*4*.

- Mihaly Szegedy –maszak, « le texte comme structure et construction » in Théorie littéraire , 6
(ouvrage collectif),Paris,,Puf,1989,p.4 .

- Tzvetan Todorov ,Critique de la critique ,Paris, Editions du Seuil,1984,p.106.7

- Groupe d'entrevernes ,Analyse sémiotique des textes,les Editions Toubkal,Casablanca 8
,Maroc,1987,p.7

(يعيد هذا الكتاب نشر مجموعة من المقالات المنشورة ما بين عامي 1976 و1978)

8 – *محاضرات في علم اللسان العام* (1916) ، 1973، ص 43 " 10

9– تودروف في كتابه "*نظرية الأدب : نصوص الشكلانيين الروس*".

10– يتردد مصطلح "علم " كثيرا في مقالات ومؤلفات البنيويين

11– يميز رولان بارث في السرد بين ثلاثة فئات من الوحدات : الوظائف الأساسية ، والقرائن والوساطات. ضمن "*مدخل إلى التحليل البنيوي للسرد*" ،مجلة Communication ع 8 : *التحليل البنيوي للسرد* ، Seuil 1966، صص 1.–27 .

12– رولان بارث "*موت الكاتب* " ضمن كتاب :"*حفيف اللغة* " Le bruissement de la langue,essais critique IV ،باريس منشورات Seuil ، 1984 ، (يرقى تاريخ نشر هذا المقال إلى عام 1968) ص .67.

13– انظر حول هذا الموضوع الأطروحة الرائعة لنتالي فيران (Nathalie Ferrand) ، Livre et lecteur dans les romans francais du XVIII siecle,Paris,collection « Ecriture »,PUF,2002.

14 – ينبهنا جاب لانتفيلت (Japp Lintvelt) أنه" بينما يحيا الكاتب الملموس والقارئ الملموس حياة فوق أدبية نجد الكاتب المجرد والقارئ المجرد مندرجان داخل العمل الأدبي " ، Essais de topologie narrative, « le point de vue »,Théorie et analyse ,Paris ,Librairie José Corti ,1981, p. 17.

15 – فيليب لان ، *هامش النص* ، مرجع سابق ص 28 .

16– لكن لا ينبغي لنا أن ننسى أنه في الفترة التي كانت فيها امبراطورية الكاتب علامة على النقد وموضوع دراستها الرئيسي ، كانت تأملات عديدة مخصصة للقارئ والقراءة .

17– يذكرنا جاب لانتفلت إلى أنه" توجد بين الكاتب والقارئ علاقة جدلية " انظر : Essai de typologie narrative
نمرجع سابق ،صص 16–17 .

18– Umberto Eco : Le rôle du lecteur ou la cooperation dans les textes narratifs ,op cit,p .43.

19– كتب جان بيير كولدنشتاين " ينتمي القارئ إلى العالم الواقعي وعند كل قراءة يحين الخطاب الموجه إليه . Pour lire le roman، لـــ بويك ويسمايل (Boeck –Wesmael)، بروكسل منشورات J.ducolot، باريس – كومبلو، 1988،ص 31.

20– Mihaly Szegedy – maszak , « le texte comme structure et construction »,op cit ,p.185.

21– Japp Lintvelt ,Essais de typologie narrative,op cit ,p.16.

-Jean Pierre Goldenstein ,Entrées en littérature , Paris , Hachette ,1990,p.90. −22

- Gérard Genette ,Seuil , op cit , pp.7-8. −23

-Claude Duchet , « Pour une sociocritique ,ou variation sur un incipit »,Littérature ,n1,paris −24 ,Larousse ,1971.

-Philipe Lejeune ,Le pacte autobiographique,Paris ,Seuil,1975. −25

-Jaques Dubois ,L'Assommoir d'emile Zola :Societé,discours,ideologie,Paris ,Larousse 26 ,1973.

-Philipe Lane ,La péripherie du texte op.cit. −27

-Antoine Compagnon ,La seconde main ou le travail de la citation ,Paris ,Seuil,1979. −28

-Jacques Derrida,La dissemination,Paris,Seuil ,1972 , −29

-Paule bounin , « Etude sur l'Avertissement de l'éditeur et la préface du Rédacteur » in les −30 laisons dangereuses :la passion amoureuse,(ouvrage collectif) ,Paris,Ellipses ,Edition marketing,1991,p.39.

-Gerard Genette,Seuil,op cit ,p.7. −31

-Wolfgan Iser ,L'acte de lecture,Théorie de l'effet esthétique ,Pierre Mardaga éditeur −32 ,Hayen,1997(édition originale : Wilhelm Fink Verlag, Munchen ,1976)p.5.

33−− يقول جيرار جنيت أن "القارئ أفضل الناس معرفة بما ينبغي أن يكون عليه رأيهم في عمله " منشورات Seuil,مرجع سابق 375.

34− من حيث المبدأ يعتبر المتن الأدبي غير متجانس لأن كل عمل أدبي كما نعلم بناء خاص ومعمارية متفردة وعالم أو كون مختلف " نوع في ذاته" بتعبير رولان بور نوف وريال أوييت في كتابهما " عالم الرواية"(l'univers du roman) ،باريس ، منشورات PUF ،1975 (الطبعة 1 ،1972) ص ,28.

-Montesquieu,lettres persanes ,Chronologie et préface par Jacques Roger ,Paris ,Garnier − −35 Flammarion ,1964.

-Abbé Prévost ,Histoire du chevalier des Grieux et de Manon lescault , introduction de −36 M −H Deloffre ,Paris , le livre de poche ,librairie Générale française ,1972.

-Jean − Jacques Rousseau , Julie ou la nouvelle heloise ,habitants d'une petite ville au −37 pied des Alpes ,Recueillies et publiées par Bernard Guyon , La pléiade ,Gallimard ,1964.

-Pierre Choderlos de Laclos , Les laisons dangereuses ou lettres Recueillies dans une –38
société ,et publiées pour l'instruction de quelques autres.Par M.C..de L,Chronologie et preface par René Pomeau,Paris ,Garnier – Flammarion ,1964.
-Furetière ,*Le roman bourgeois ,Ouvrage comique ,in Romancies du XVIIè* –39
*siecle,*édition établie et annotée par Antoine Adam ,Paris ,Gallimard ,Bibliothèque de la Pleiade,1958.
- Edme Boursault, Treize Lettres amoureuses d'une dame à un cavalier, Edition préfacée, –40
établie et annotée par Bernard Bray, Paris, Les Editions Desjonquères, col. "XVIIIè siècle", 1994.
la Comtesse de ***, Texte établi, avec introduction, chronologie, bibliographie, notes et –41
glossaire par Frédéric Deloffre, Paris, Garnier Frères, 1963
-Marivaux, La Vie de Marianne ou les aventures de Madame.
Crébillon Fils, Les Egarements du cœur et de l'esprit, in Romanciers du XVIII ème –42
siècle, Tome II, Préface par Étiemble, Paris, la Pléiade, NRF Gallimard, 1965.
- Mme de Graffigny (Françoise d'Issembourg d'Happoncourt, 1695-1758), Lettres d'une –43
péruvienne, in Romans de Femmes du XVIIIè siècle, Textes établis, présentés et annotés par Raymond Trousson, Paris, Robert Laffont, 1996.
Sénac de Meilhan, L'Emigré, in Romanciers du XVIIIè siècle, tome II, Préface par –44
Etiemble, La Pléiade, NRF, Gallimard, 1965.
Paris, Folio classique, – - Senancour, Obermann, Edition de Jean-Maurice Monnoyer,45-
Editions Gallimard, 1984.
- Honoré de Balzac, Mémoires de deux jeunes mariées, in La Comédie humaine, Préface –46
de Pierre-Georges Castex, présentation et notes de Pierre Citron, Paris, Editions du Seuil, 1965.
Christian Angelet, Recueil de préfaces de romans du XVIIIè siècle, col. "Lire le Dix- –47
huitième Siècle", Publications de l'Université de Saint-Étienne et Presses Universitaires de Louvain, 2003, p. 9.
– Gérard Genette ,Seuil ,op cit ,pp 7-8 . –48
- Umberto Eco, Le rôle du lecteur ou la Coopération interprétative dans les textes narratifs, –49
op.cit., p. 65
les anathèmes lancés contre le genre romanesque par Pierre Nicole : انظر على سبيل المثال ––50
(auteur des expressions citées), l'abbé de Bellegarde

51- يقول فولتير إن " الأدباء الحقيقيين يحتقرونه" أما مارمونتيل " الأديب المدرج في الموسوعة "

." Jean Herman, Incognito et roman au XVIIIè siècle. Anthologie de préfaces d'auteurs anonymes ou marginaux *(1700-1750),* University Press of the South, Inc. 1998, p. V.

52- لقد شكلت وضعية الرواية ووضعها موضوعل لدراسات عديدة، انظر

? » Georges May, *Le Dilemme du roman au XVIII è siècle,* Newhaven, Yale University Press, et Paris, PUF, 1963, p. 102.

53- انظر شيلي ياهالوم وتمييزه بين النص واللانص

54- تتحدد هذه المقولة عند يان وات " باعتبارها شكلية لأن " الواقعية لا تحيل هنا على هدف أو عقيدة أدبية خاصة ، بل على مجموعة من الإجراءات السردية التي نعثر عليها عادة في الروايـــة. *in* » Ian Watt, « Réalisme et forme romanesque », *Littérature et réalité*, (ouvrage collectif), Paris, col. "Points", Editions du Seuil, 1982, p. 44.

55-
Les références ultérieures aux œuvres romanesques dont nous étudions ici le péritexte seront données dans le texte entre parenthèses.

Crébillon Fils, *Les Egarements du cœur et de l'esprit*, *op. cit.*, pp. 9-10.56-

Jacques Rustin, "Mensonges et vérité dans le roman français du XVIIIè siècle.", *in Revue* -57 *d'Histoire Littéraire de la France*, janv-fév. 1969, 69è année, n°1, p. 13 et p. 18.

Diderot, article "AUTORITE" de l'*Encyclopédie, in Œuvres complètes*, tome XV, Paris, Club -58 français du livre, 1972, p. 100.

"Ce fut longtemps une tradition que de voir l'auteur se présenter d'entrée de jeu comme un -[59] éditeur qui publie un manuscrit tombé entre ses mains. Ce rôle d'éditeur était particulièrement requis dans le roman par lettres au XVIII ème siècle.. " Michel Raimond, *Le Roman,* Paris, Armand Colin, 1989, p. 122.

Cette technique répond aux attentes du lecteur de l'époque -[60]

Bourneuf & Ouellet, *L'Univers du roman*, *op. cit.*, p. 78. -[61]

Françoise Barguillet, *Le roman au XVIIIè siècle*, Paris, PUF, 1981, p. 131. -[62]

." Robert Favre, "Le XVIIIè siècle", *in La littérature française : histoire et perspectives,* (ouvrage 63 collectif, sous la direction de Robert Favre), Presses universitaires de Lyon, 1990, p. 141.

64- المقدمة استراتيجية للمقروئية وتحديد العمل داخل الحقل الأدبي " انظر

." *Larousse, Grand dictionnaire des lettres*, Paris, Librairie Larousse, 1989 (1986, pour l'édition originale), p. 1290.

65- مجمل السيناريوهات التي اخترعها الروائيون ÷ي " تمويهات، فالأساسي هو شد انتباه القارئ"

." J.P. Goldenstein, *Pour lire le roman, op. cit.,* p. 41.

Edme Boursault publia *Sept Lettres amoureuses d'une dame à un cavalier*. En 1700, six -66 nouvelles lettres et quatre billets de la dame au cavalier furent ajoutés aux sept premières lettres.

j'emploierais en vain tous les raisonnements pour m'en justifier." Sénac de Meilhan, *L'Emigré,* -67 *op. cit.*, p. 1550. En 1666,

Quelques réflexions sur les *Lettres persanes*", préface tardive où il fera " 68- في سنة 1754 نشر مونتيـــسكيو : ." *Lettres persanes*, *op. cit.,* pp. 21-22.. . l'éloge de la forme épistolaire

Gérard Genette, *Seuils, op. cit.*, pp. 7-8. -69